الناقد والأكاديمي الدكتور محمّد الأمين بحري للنصر

النقد فعل حماية وصيانة للأدب من التشويه والتردي

أجراس

الفيلسوف متوحشا

سليم بوفنداسة

أصاب الحراك الطلّابي في الغرب، الفيلسوف الفرنسي الصهيوني الهوى ألان فينكلكروت بالرّعب، إلى درجة أنّه هاجم طلبة العلوم السياسيّة في فرنسا ووصفهم بالجهلاء الذين لا يقرأون ويحصّلون المعلومات من موقع ويكيبيديا.
واعتبر ما يحدث نتيجة لظهور ظاهرة "الدراسات" المتعددة في الجامعات الأمريكية، التي تناولت الاستعمار وما بعد الاستعمار والجندر... وتحولت في تقديره إلى محاكمات للغرب الأبيض ووسمته بصفة العنصري والمفترس، ولم يتردّد في إسقاط الصفة العلميّة عنها، والتحذير من نقل هذه الصّفات إلى إسرائيل.
الفيلسوف الذي أبدى في نقاش على قناة BFM التلفزيونية تخوفًا من أمركة الجامعات الفرنسيّة، اعتبر كلّ حديث عن الاحتلال والإبادة والفصل العنصريّ معاداةً لليهود بالضرورة، لأنّ الأمر يتعلّق، في استنتاجه، بترحيل اليهود من موقعهم الأثير كضحايا إلى موقع الجلّادين، وهذا غير مقبول حين يصدر عن "نخب المستقبل" التي يقترح إعادة تدريسها التاريخ الملفّق الذي جعل أقليّة صهيونيّة متطرّفة تسيطر على الفضاء الثقافي والإعلامي في "بلد الأنوار"، ورفض الفيلسوف الطرح القائل بأنّ الطلبة متأثرون بما يحدث في غزة وراح يتحدّث عن استغلالهم من طرف مناضلي حزب فرنسا الأبية، الذين وصفهم بالمقربين من حماس و بوتين والمعادين لليهود في نفس الوقت.
والنتيجة تزايد معاداة اليهود، حيث استدل على ذلك بنتائج سبر أراء بين الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين18 و25 سنة، والتي أظهرت أن 35 بالمئة من المستجوبين مع استهداف اليهود بسبب ما يحدث في الأراضي الفلسطينية.
وذهب بعيدا في هذيانه، حين أنكر على الطلبة حمل الأعلام الفلسطينية والحديث عن الاحتلال، لكنه في المقابل رفض التّضامن مع الفكاهي "غيوم موريس" الذي فصل من إذاعة فرنسا الدولية وتمت مقاضاته بسبب سخريته من نتنياهو حين اعتبره أفضل زيّ تنّكري لإخافة الأطفال، لأنّ ما قام به الفكاهي في نظره نضال وليس فكاهة، وبالتالي فإن معاقبته لا تعتبر مساسًا بحريّة التعبير!
هذا النموذج من فلاسفة البلاتوهات، أصبح رائجًا في الثلاثين سنة الأخيرة، وتحوّل إلى شتيمة في حق الفلسفة التي انتصرت في تاريخها لقيّم الحق والجمال والعدالة، قبل أن تتحوّل على أيدي فلاسفة صهاينة ومتصهينين إلى آلة دعائية لإشاعة الحروب ونصرة الباطل وتمجيد السّفاحين والقتلة.
لكنّ الوعي الذي فجّره الدم الفلسطيني في الجامعات الأمريكية و الأوروبية، سيضع بلا ريب حدا لهذه الحقبة السوداء، ولعلّ ذلك ما أدركه فينكلكروت وبرنار هنري ليفي ودفعهما إلى إشهار الغضب على الجامعات الأمريكية التي كسرت الطابو، وفتحت أعين العالم على حقيقة أقليّة ضالة تريد السيطرة على البشريّة بالقوّة والمال وخطاب البهتان.

أمام الإعصار التكنولوجي

هل لا تزال الجامعات مراكز لصناعة الوعي؟

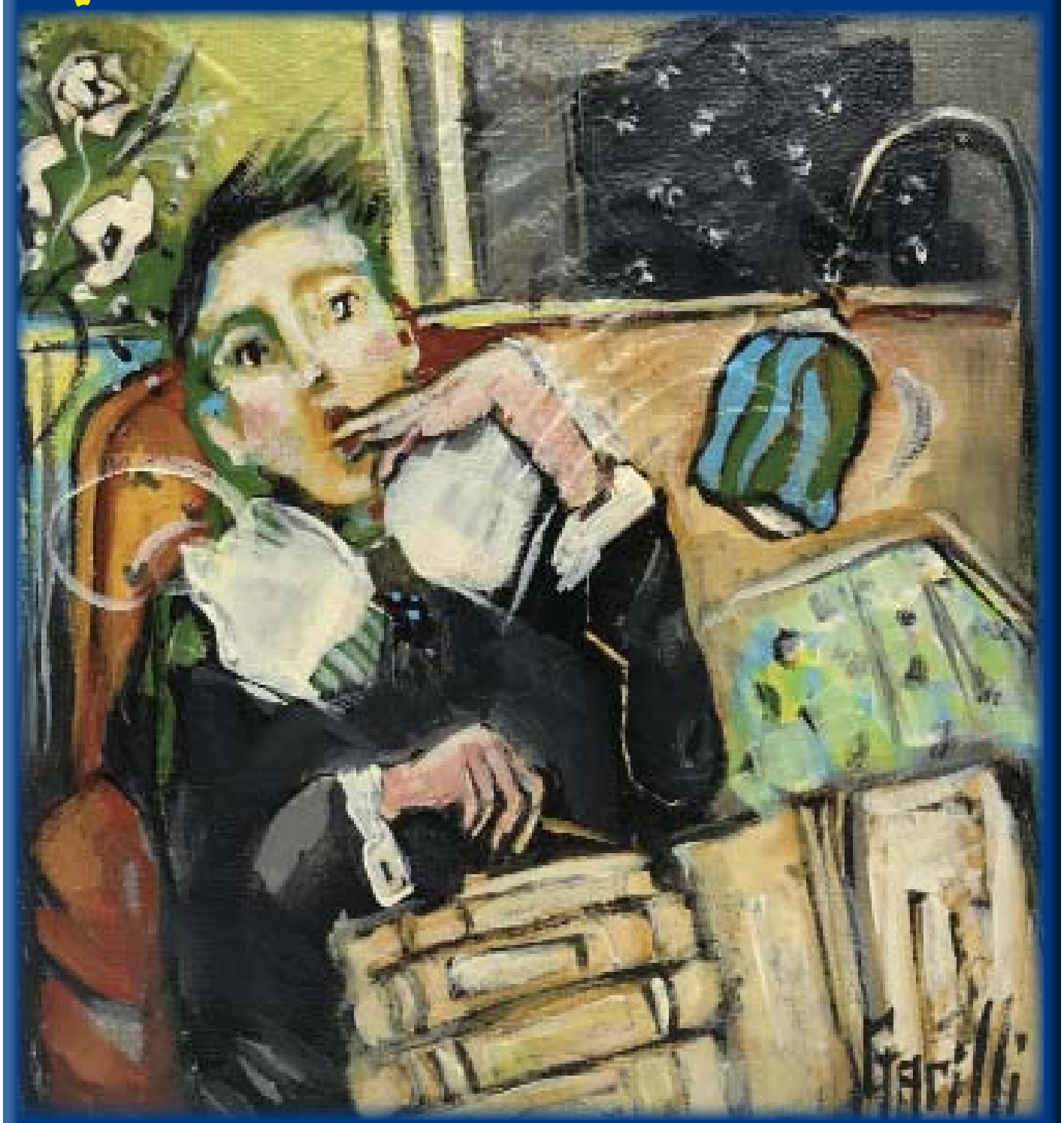

المقاولاتية الثقافية .. توجه جديد بأبعاد فنية واستراتيجية

ينتشر الفكر المقاولاتي الثقافي وسط طلبة جامعيين، مهتمين بإنجاز مشاريع تجمع بين الثقافة والفن و الاقتصاد، لتثمين المسار العلمي والمساهمة في النهوض الاقتصادي بتنويع مصادر الثروة، حيث يؤكد مختصون للنصر، أن الاعتماد على رأس المال الفكري الثقافي حل للنهوض الاقتصادي، مشجعين انخراط طلبة في إنجاز مشاريع في المجال، كما دعوا لضبط الإطار القانوني لنجاعة الاستثمار الثقافي.

أمام الإعصار التكنولوجي

هل لا تزال الجامعات مراكز لصناعة الوعي؟

على مر التاريخ والأزمان، كانت الجامعات هي مراكز العلم والمعرفة، وإلى جانب هذا كانت بشكلٍ كبير مراكز لصناعة الوعي وتطويره. لكن في زمن باتت فيه التكنولوجيا تُهيمنُ على مُختلف القطاعات، تُطرح تساؤلات حول دور الجامعات التقليدي في صناعة الوعي. فهل لا تزال الجامعات مراكز لصناعة الوعي وتطويره؟، وهل لا تزال قادرة على الاضطلاع بدورها التقليدي، أم أنّ العصر الرقمي والتوجه الرأسمالي غيّر كلّ شيء؟ وفي المقابل هل العصر الرقمي له ارباكاته واكراهاته التي حالت/أو تحول دون أن تبقى الجامعات تضطلع بدورها التقليدي، ألا وهو صناعة وتطوير الوعي؟، وهل هناك وعي آخر تصنعه التكنولوجيا مُغاير للوعي الّذي تصنعه الجامعات؟ أم كما قال البروفيسور عبد السلام فيلالي "التكنولوجيا اليوم تضعنا أمام قضية جديدة تتعلق بدور الجامعة في بناء الوعي وتطويره". حول هذا الموضوع "الجامعة وصناعة الوعي"، أو "صناعة الوعي بين الجامعة والتكنولوجيا". كان ملف هذا العدد من "كراس الثقافة"، مع مجموعة من الباحثين الأكاديميين المختصين في العلوم السياسية والاِجتماعية، والذين تناولوا المسألة كلٌ من زاويته وحسب وجهات نظر مختلفة ومتباينة، لكنها تلتقي وتتقاطع في الكثير من النقاط.

أعدت الملف: نوّارة لحرش

◆أستاذ عِلم الاِجتماع السياسي عبد السلام فيلالي

يجب رسم استراتيجية جديدة لدور الجامعة

يؤكد أستاذ علم الاجتماعي السياسي، بجامعة عنابة، الدكتور عبد السلام فيلالي، أن انتشار الإنترنت وما يتيحهُ من تداول واسع النطاق وبشكل أيسر (يوماً بعد يوم) للمعارف والمعلُومات والرسائل والمهام، "يجعل الفرد يُؤمّن استقلالية كبيرة فيما يتعلق بتحصيلها واستيعابها، فالمعلومة أمامه بمجرّد أن يسأل بالصوت في الحين، ويستطيع الحصول عليها بأي لغة ومن أي مكان".

وواصل قائلاً: "إنّني كمستعمل للأنترنت منذ سنة 1996، وبالمُقارنة مع ما كُنا نتجشمه كطلبة وكباحثين من عناء في سبيل تحصيل المادة المعرفية أو الإخبارية أو الخدمات المُتصلة بمجال البحث، بوسعي أن أقول إنّنا بلغنا اليوم مستوىً من التحصيل والاستفادة يصل حد الكمال. ورغم ما يَبدو أنّه نوع من القيد بالنسبة للارتباط بالعالم الرقمي ومقتضياته إلاّ أنّه سمحَ لنا بأن نحصل ونُنجز أعمالنا في فترة قصيرة كانت تتطلب سنوات".صاحب "الجزائر: الدولة والمجتمع"، أضاف: "إنّ ربط هذا الإدراك بأهمية الكم الهائل من المعارف والمعلومات التي يمكن تحصيلها، يضعنا أمام قضية جديدة فيما يتعلق بدور الجامعة وبناء التمثلات، أو ما قد نُسميه بتطوير الوعي. صحيح أنّ العامل البشري يظل جد هام في عصر التكنولوجيا وما بلغته مع التطور السريع والمُستمر للذكاء الاصطناعي وبالتالي من يقفون وراء هذا التطوير بالتحكم والتوجيه، لكن ينبغي إعادة تقييم دور وأداء الجامعة، فلم يعد الوضع التقليدي للمُلقّن والملقن قائمًا، لقد زال. وبحسب خبرتَي، تظل العلاقة قائمة وحاسمة فيما يتعلق ببناء التمثلات، شرط أن يتم وضع آليات جديدة لهذه العلاقة، فإنّه وعلى سبيل المثال، التوصية بالتعليم عن بُعد غير مجد بالنسبة لجامعة لا تفرض رسوماً علىً طلبتها ولا تملك السلطة المادية والمعنوية لضبط سلوكات المنتمين إليها، أتحدث هنا بالنسبة لوضع الجامعة الجزائرية الّذي يظل دورها الاجتماعي له الأولوية على الجانب التكويني والأكاديمي".

ثم أردف قائلاً: "وهذا الأمر أستطيع تقديره بسبعين بالمائة، حيثُ نُلاحظ حالة الانفصال السريعة بين الطالب الجديد وَالبيئة الجامعية، وذلك لسببين الأوّل يتعلق بانهيار قيمة الشهادة الجامعية أمام الوضعيات الجديدة لسوق العمل الّذي صار يعتمد بشكل أكبر على التكوين السريع والمُحدّد للمتطلبات المهنية. وتبقى نسبة الثلاثين بالمائة المُتبقية مرتبطة ومُتصلة بالمهام الجامعية فيما يخص إنتاج النُخب والكفاءات وما يتعين تحصيله من وسائل تعليمية جديدة تخصُ أساسًا المُتابعة والتقييم من أجل تأطير بعدُ الاستقلالية الّذي تُتيحهُ التكنولوجيا".ومعنى هذا -حَسب الدكتور فيلالي-، أنّه ينبغي إعادة تحديد المهام والعمليات الجديدة فيما يتعلق بدور الجامعة على المستوى الفردي والمجتمعي، أي القيام بضبط الأهداف الجديدة للمجتمع وتوجيه الوسائل بحيثُ تتناسب معها، فتمضي العملية بالنسبة لهذه التمثلات إلى حيثُ يتم تلقين مُختلف المعارف والتدريب وفقها.

في هذا الاتجاه، أضاف موضحاً: "إنّني أقصَد أن تستعيد الجامعة تعريفها الأولي بالنسبة إلى تكوين النُخب وليس تحصيل الشهادات، فإنّ عملية (التكميم) هي مهمة وسائط ومؤسسات أخرى، ومن ثم ما أسميناه بصناعة الوعي. ففي وضع الاستقلالية التي تحدثنا عنها، ينبغي رَسم مسارات واضحة من حيثُ البداية والغاية تكون مرتبطة بالأهداف المجتمعية فتضبط الدافعية وفقها وما يتحدّد من تحفيزات".

وخَلُصَ إلى القول: "إنّ هذه المهمة مرتبطة بالقدرة على رسم استراتيجية جديدة لدور الجامعة ومخرجاتها بالنسبة للمتطلبات الوطنية الحيوية، نرى أنّ الدول المتقدمة في مجال التكنولوجيا قد أدركتها بشكل جيد وحاسم بالنسبة لبرامج التنمية والانسجام بين مُختلف مكونات المجتمَع. فالأمر، بالتالي، يخصُ تفكيراً استراتيجياً جديداً لأداء مُختلف مؤسسات المجتمع والدولة".

◆الباحث لطفي دهينة

الجامعة اليوم تجد مُنَافسة في صناعة الوعي وتكوين الأفكار من الفضاءات الرقمية المُتعدّدة

يقول الأستاذ والباحث في العلوم السياسية الدكتور لطفي دهينة من جامعة قسنطينة3، من جهته: "الجامعة فضاء يجمع روّاد العلم والفكر، ومكانٌ لتلاقح الأفكار وتدارُس العلوم والمعارف وصناعة الوعي، أو هكذا كانت، لطالما ساهمت في تكوين التيارات الفكرية التي تنتج بفعل حالة النقاش والمُرافعة للرأي ومنها تنَشأ المدارس الفكرية المُختلفة التي تُثري الساحة وتجعل من الجامعة مكاناً يعجُ بالحركية وينبض بالحياة".

مُضيفاً: "إنّ اختزال دور الجامعة في التعليم والتلقين هوَ نظرة قاصرة تحيدُ بها عمّا وُجدت من أجله، فهي جزء أصيل في منظومة مُتكاملة وعضو فعّال في محيطها تُؤثر فيه وتتأثر بمكوناته المُختلفة، وتربطها علاقات متينة وأواصر قوية مع المجتمع بوصفها شريكاً مهماً في تطويره وتنميته وفي صناعة الوعي بين أفراده".

وهنا أردف مواصلاً فكرته: "كما أنّه من الضروري على الجامعة لتنجح في أداء الدور المنوط بها أن تتفاعل مع متطلبات العصر وتحسن التكيف مع تطوراته وعليها التعامل بشكَل جيد مع إكراهاته المختلفة، لذلك نجد أنّها لَم تشذ عن تفاعل عديد القطاعات مع متطلبات العصر الرقمي وخصوصياته، بل بالعكس وجدت نفسها مُطالبة بأن تقود القاطرة في هذا المجال على اعتبار أنّها المكان الطبيعي لإجراء الدراسات وتطبيق نتائجها على أرض الواقع، والمحضن الطبيعي الّذي تولد فيه الأفكار والابتكارات وتنمو وتتطوّر في مجال الذكاء الاصَطناعي وبحوثه".

الجامعة اليوم -يُضيف المُتحدث-: "تجد مُنَافسة في صناعة الوعي وتكوين الأفكار من الفضاءات الرقمية المُتعدّدة، التي أصبحت جزءاً من يوميات البشر ومكونات الأسرة الجامعية على الخصوص، على اعتبار أنهم من أكثر الشرائح تعاطياً مع هذه الفضاءات التي تتسم بسهولة نشر المواد المُختلفة بها وسهولة الوصول إليها، كما أنّ زخمها والكم الهائل من البيانات والمعلومات -التي لا يُتاح لنا التأكد من صحتها- يُوَلّد حالة من الإرباك وخصوصية في تشكيل الوَعي لدى روّادها، تتسم بالهشاشة وعدم اليقين واهتزاز الثّقة في الأفكار والمُعتقدات، ممّا يجعل عملية صناعة الوعي صعبة بل ومُعقدة، وتتطلب عمليات إفراغ ثم تكوين وتطوير وحماية".

ذات المُتحدث، يُؤكد على أنّ "الجامعة اليوم مطالبة بمواكبة التطورات والتفاعل مع المجتمع لتقوم بالدور المنوط بها، بوصفها تضمُ نخبة المجتمع الذين يمتلكون زمام العلوم، وبإمكانهم -لو توّفر لهم المناخ الجيد للعمل- تقديم الإضافة اللازمة لصناعة الوعي والمساهمة في تنمية المجتمع، وتزويده بالأفكار والدراسات النظرية لتطبيقها على أرض الواقع والاستفادة من آخر ما توصل إليه البحث والعَلم، وفْقَ رُؤىً معرفية ومنهجية علمية مدَروسة".

وهي مطالبة كذلك -حسب رأيه دائماً- بالانتقال بالعملية التعليمية من الطريقة التقَليدية، إلى الانفتاح أكثر على الفضاءات والتطبيقات الرقَمية، التي لا جرم أنّ لها بعض الأوجه الإيجابية يمكن تطبيقها والاستفادة من مميزاتها وخصائصها، التي تسهَم في جعلِ البحث العلمي أكثر دقة ومرونة وربحاً للوقت والجهد والتكلفة، شريطة عدم الانغماس فيها والانتقال إليها بطريقة غير مدَروسة وغير فعّالَة، حتى لا نُفاقم المشكلات التي تعاني منها الجامعة أصلاً ونُفرغها من محتواها.

◆أستاذ العلوم السياسية فؤاد منصوري

الوعي الحقيقي للجامعة في مواجهة الوعي الزائف لتأثيرات التكنولوجيا

يؤكد الباحث وأستاذ العلوم السياسية، بجامعة عنابة، الدكتور فؤاد منصوري، أن "الدول المُتطورة هي بالضرورة تلك الدول التي تمتلك جامعات قوية بإشعاعها العلمي والتكنولوجي حيثُ تلعب دوراً محورياً في اقتصاديات تلك الدول بل محركها الأساس نحو التنمية بأبعادها المختلفة. لذلك عمدت الدول إلى تشييد جامعاتها منارة الفكر والعلوم مدركة أنّ مصيرها مرتبط عضويًا بكينونتها".

وحسب رأيه، "يتحدّد الفاعلون في الجامعة في ثلاثية الأستاذ، الطالب والموظف في الحقل الجامعي. ونجاح العملية التعليمية والبيداغوجية مرتبط بهذا الثلاثي من خلال فعّالية مساهمة كلّ طرف في هذا التفاعل".

مُعتبرا، أنّ وظيفة الجامعة تتمثل في التكوين، البحث العلمي والانفتاح على حاجيات المحيط السوسيوَ اقتصادي بغاية تنمية وتطوير المجتمع.

وهنا أردفَ مُوضحاً: "بخصوص التكوين المنوط بالجامعة الّذي يجمع بين النظري والتطبيقي -في تصميم البرامج- يهدف إلى تخريج طالب قابل للتوظيف في سوق العمل بمعنى ضرورة الحرص على تناغم المعادلة: التكوين/التشغيل وهذا يستوجب عِلاقة تفاعلية بين الجامعة والمؤسسات المُتعدّدة: الاقتصاديّة، الإداريّة، الثّقافيّة.. أي عَلاقة تواصل بين الجامعة ومحيطها السوسيو اقتصادي ويُوكل للجامعة أيضاً مهمةَ البحث العلمي بأنواعه النظري، التطبيقي والتطويري (الابتكاري)".

وفيَ ذات النقطة أضاف: "تُعد الجامعة فضاءً اجتماعياً وعلمياً لها مهمة إستراتيجَية في المجتمع بمختلف مؤسساته السوسيو- اقتصادية والتي تُؤثر كما تتأثر به. وكُلما كانت هذه الجدلية فاعلة وناجعة كلما انعكس ذلك إيجابًا على مآل ومصير مؤسَسات المجتمع المتعدّدة".

أي أنّ الجامعة -كما يُواصل ذات المتحدث- "تعمل على إيجاد وعي حقيقي مبني على الفكر وقيم الهوية الوطنية لتنوير الفرد بأهم الرهانات والإشكاليّات التي تُواجه مجتمعه في ظل التحديات والاكراهات المُتزايدة التي من بينها تأثيرات التكنولوجيا في عصر رقمي بامتياز: وسائط التواصل الرقمية كالوسائط الاجتماعية المُختلفة من خلال ما يُسمى بالمؤثرين مثلاً التي أصبحت مُؤثرة وتعمل على إيجاد وعي من شاكلةٍ أخرى جزء كبير منه غير مبني على فكر المجتمع الحقيقي وقيمه المركزية، بل أحياناً مُهَدّداً للمجتمع ذاته من خلال التركيز خاصَةً على فئة الشباب".

هذا يدفعنا -حسب الدكتور منصوري- إلى التساؤل عن دور الجامعة وكلّ المؤسسات الاجتماعية والفكرية والرّوحيّة في هذا التجاذب؟

و-حسب جوابه على هذا التساؤل-: "لا يمكن إنكار تأثير تلك الوسائط الرقمية على المجتمع ولاسيما على فئة الشباب في ظل تراجع المؤسسات الفكرية والروحية في لعب دورها في مسألة إيجاد أشكال الوعي الحقيقي التي تدفع بالمجتمع نحو مراتب أسمى ولا تترك مكاناً لأشكال الوعي الزائف بل تجعله يمر دون تأثير واضح".

وخلُص فيَ الأخير، إلى أنّ نشر الثّقافة والفكر الّذي ينبع من هوية المُجتمع ومخاطب لثقافات غيره وتثمين الجامعة كمركز رئيسي للعلوم والمعارف باستخدام وتوظيف تكنولوجيا العصر والاعتماد على وسائل إعلام ثقيلة أو خفيفَة ترتقي بالذوق العام للمجتمع من شأنه الحد من تأثير الثقافة "التافهة" المبنية على وعي زائف مُضللٍ ينشر ثقافة سطحية ومُبتذلة أحياناً تعتمد على التباهي والتفاخر ضمن ثقافة "الشو" والّذي يُبعدنا عن أهداف مجتمعنا وتطلعه إلى تفعيل قيمه المركزِية التي ستضمنُ له مُستقبلاً أكيداً بين الأمم والشعوب.

◆الباحث السوسيولوجي ناجح مخلوف

التوجهات الرأسمالية العالمية حوّلت الجامعات إلى مؤسسات تجارية

قال الباحث السوسيولوجي ورئيس فرقة بحث (ريادة الأعمال الاجتماعية في الجزائر: الفُرص والتحديات)، البروفيسور ناجح مخلوف، من جامعة المسيلة، إن الجامعات كانت مراكز لنقل المعرفة وتعزيز الفكر النقدي. من خلال الفصول الدراسية والنقاشات الأكاديمية، حيثُ ساهمت الجامعات في تشكيل عقول الأجيال الجديدة، مُتيحة للطلبة فرصة التفاعل الاجتماعي والثقافي العميق. في الجامعة اكتساب تجارب اجتماعية من خلفيات مَتنوعة، فالطلبة يتبادَلون الأفكار ويكتسبون كيفية التفكير بشكل نقدي ومستقل". وفي ذات السياق واصلَ قائلاً: "إلاّ أنّه مع ظهور الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة، أصبح الوصول إلى المعلومات أكثر يسراً من أي وقت مضى. من خلال المنصات التعليمية والّتي أتاحت للطلبة تَعَلُم مواد مُتقدمة من أفضل الجامعات العالمية دون الحاجة لمغادرة منازلهم، بالإضافة إلى ذلك، ساعدت التكنولوجيا في تسهيل التعاون البحثي الدولي، ممّا جعل المعلومات تتدفق عبر الحدود بلَا قيود".

واستجابت الجامعات -كما يقول- للتحديات التكنولوجية من خلال تحديث مناهجها وتبني أدوات تعليمية حديثة. كالمختبرات والمنصات الافتراضِية والمكتبات الرقمية أصبحتَ جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية والبحثية حتّى تُعزّز من تجارب الطلبة وتُوفر لهم موارد قيمة.ومن هُنا -يُضيف المُتحدث- "نطرح التساؤل المُهم حول أهمية الحيز المُخصص للتفاعل الشخصي والحقل الثقافي والفكر النقدي فيِ ظل هيمنة التكنولوجيا؟"

ثُمَ أردف قائلاً: "أعتقد أنّه لم تكن التكنولوجيا وحدها العامل المُؤثر، فجذر الشر، إن صحَّ التعبير، يكمنُ في التوجهات الرأسمالية العالمية والنظر في ما وراء مجال التبادل (المقر الخفي) للإنتاج، والتي لعبت دوراً كبيراً في تحويل الجامعات إلى مؤسسات تجارية، وباتت الجامعات تسعى لجذب المزيد من الطلاب من خلال إستراتيجيات تسويقية مُكثّفة، كما أصبحت الجامعات تُركز على الربحية كمفهوم مركزي ممّا قد يُؤثر على جودة التعليم والبحث الأكاديمي، حتّى إنّ هذه الديناميكية تدفعُ الجامعات أحياناً إلى تكييف مناهجها لتلبية متطلبات السوق بدلًا من التركيز على تنمية الفكر النقدي".

المتحدث واصل في ذات المعطى، مؤكدا: "على الرغم من الفوائد العديدة التي جلبتها التكنولوجيا، إلاّ أنّها لم تخلو من التحديات. كالفجوة الرقمية بين الطلبة، حيثُ لا يمتلك الجميع الوصول إلى الإنترنت أو الأجهزة الحديثة، أيضاً تشتت الانتباه، ممّا يُؤثر سلباً على التركيز والفهمَ العميقَ. علاوةً على ذلك، الضغوط الرأسمالية قد تدفع الجامعات إلى إهمال الجوانب الثّقافيّة والنقديّة في التعليم والبحث لصالح برامج تدريبية تقنيّة سريعة العائد".

بعدها أضاف: "أعتقد أنّ التكنولوجيا لن تحل محل الجامعات كلياً في تشكيل وعي مختلف، بل ستكملها من خلال تكامل التعليم التقليدي مع الأدوات التكنولوجية الحديثة والتحوّل في نهج الجامعات للتكيف مع متطلبات السوق دون إهمال الجوانب النقدية والثّقافيّة، بهكذا توجه يمكن للجامعات أن تستمر في دورها الحيوي في صناعة الوعي وتطوير الأجيال القادمة".

واختتم حديثه بالقول: "إنّ مستقبل التعليم يبدو مشرقاً، إذا ما تمكنا من الاستفادة القصوى من كلاَ العالمين: العالم التَقليدي والعالم الرقميَ، مع مراعاة التوازن بين الجوانب الأكاديمية والضغوط الرأسمالية".

◆أستاذ العلوم السياسية محمّد لخضر حرزالله

قد تُصبح التكنولوجيا رافداً آخر لصناعة الوعي

يعتقد الدكتور محمّد لخضر حرزالله، أستاذ العلوم السياسية بجامعة بسكرة، أنّ أنظمة التعليم الجامعي على مستوى العالم تشهدُ تحوّلات عميقة خاصةً مع حركية التطوّر التقني وسرعته، وتعدّد وتقدم أنظمة الاتصال والمعلومات، وظهور صيغ حدَيثة للتعامل الإلكتروني وسيادة اللّغة والمُمارسة الرقمية، وتعاظم مظاهر التثاقف المعرفي بين الشعوب والحضارات، بفعل الانكشاف والاندماج الكوني بين الأمم كأحد تجليَات العولمة المعرفية والاتصالية.

كلّ هذه التحوّلات -حسبَ الدكتور حرزالله- "مثلت تحديات فرضت منطقاً جديداً ومعايير مُستحدثة لجودة التعليم الجامعي وتنافسية البحث العلمي، ودفعت بالحكومات في الدول الرائدة لتبني إستراتيجيات متقدمة لتحديث وتطوير نظام الجودة الأكاديمية والتعليمية، عبر الارتقاء بمستوى منظومتها الجامعيةَ، أين حُظيَ الأستاذ والباحث فيها بالأولوية في التكوين والمكانة والتمكين".

وفي المُقابل -يُضيف المتحدث- "لا تزال الأساليب التلقينية والطرائق التقليدية تسودُ أغلب المؤسسات الجامعية عندنا، فلم يشهد نظام التعليم تحوّلات ملموسة موازاة مع التطورات التكنولوجية وتوسع مخرجات البيئة الرقمية، وقد أثرت هذه الطريقة التعليمية على مستوى الوعي وسلوك المتعلمين وطريقة تفكيرهم، فأفرزت نمطاً من التفكير السلبي يمتاز بالتحليل السطحي والملمح التنظيري في تصوراته وأبعاده، نمط يفتقر للبُعد التطبيقي وللروح العلمية الناقدة والخيال العلمي والفني المتَّقد، الّذي يبعثُ على تطوير المهارات وتوسيع المدارك وتفتق العبقرية الفكرية".

صاحب كتاب "تحديات الفجوة الرقمية والمعلوماتية. أردف مُوضحاً: "إنّ من أسوأ ما طفحت به الثقافة الرقمية المعاصرة فاكتسحت به ساحاتنا الجامعية، ما يمكن أن نصطلح على تسميته بظاهرة (الانتفاخ المعرفي) أو (التضخم المعرفيَ)، وهو مصطلحٌ يُشيرُ إلى غلبة (المعرفة السطحية) وطغيان داء التعالم، في وقت تتراجع فيه (المعرفة التأصيلية) والتحقيق والرسوخ العلمي، مِمّا أفضى بكثير من أبناء الجيل الرقمي إلى حالة من الوهم بمعرفة كلّ شيء، دون إدراك أي شيء".

ومُؤكداً في ذات المعطى: "إنّ الانتفاخ المعرفي هو توهم المعرفة دون التَمكن من أدواتها ومنهجياتها ومقارباتها العلمية، أو هو تذوقٌ للمعرفة يُشعر صاحبه بنوع من النشوة والغرور، يجعلانه يعتقد أنّه أهلُ لخوض غمار الجدل ومناطحة العلماء دون تأصيل معرفي دقيق، أو اتكاء على منهج علمي وثيق، وأمثالَ هؤلاء يكتفون من العلم بأوائله، ويأخذون من المعرفة بأطرافها، ولا يُكابدون عناء التحقيق والتتبع، والتحري والاستشكال والتحليل والتفكيك والاستنتاج وصولاً إلى (معرفة رَصينة مؤسَّسَة)".

واختتم بقوله: "إنّ التعليم الجامعي بحاجة عاجلة إلى ثورة عميقة تجعل من الكفاءة عنوانها المُقدس، وتمحّصه من رواسب الارتجال والقرارات الشعبوية والتجَارب الخاطئة التي جنت على أجيال بأكملها، حتى تستعيد الجامعة سموها وعنفوانها وحضورها المتألق في حياض المعرفة والريادة والإبداع، ولتصبح نعمة التكنولوجيا رافداً آخر لصناعة الوعي، ورافدا آخر نحو تحقيق غاية الجودة والكفاءة، وليست وسيلة لتفريغ العقول وإزهاق الروح العلمية".

◆الأستاذ فؤاد جدو

دور الجامعة هو خلق مسارات من الوعي الجماعي

يقول الأستاذ والباحث بقسم العلوم السياسية والإعلام بجامعة بسكرة الدكتور فؤاد جدو، في ذات الشأن: "لا تعتبر الجامعة مكاناً لتخريج الطلبة والكفاءات بمَا يحتاجه سوق العمل والمجتمع بلَ الجامعة سُميت جامعة لأنّها تجمع كلّ الأطياف والاتجاهات والعلوم والمعارف لخلق مسارات من الوعي الجماعي الّذي يهدف إلى خلق توازنات بينها وتوافقات تؤسس لبناء مجتمع متوازن وقوي يمكن أن يُحدّد الهوية السليمة، إلاّ أنّ التحوّلات الراهنة من تقدم تكنولوجي وتزايد استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ورقَمنة كلّ القطاعات أصبحتَ درجات الانكشافية الإعلامية والمجتمعية عالية وكَبيرة ممّا زاد من إمكانية الاِختراق وتهديد الأمن المجتمعي والهوياتي عاليًا".

وهنا -حسب الدكتور جدو- "تظهر أهمية الجامعة كفضاء رئيسي في بناء هذه القاعدة الصلبة التي تُؤسس لخلق الأمن الإعلامي والهوياتي والمجتمعي والفكري في إطار ما يُعرف بمنطق الأمننة والّذي يصبُ في إناء واحد ألا وهو بناء الوعي وتحقيق مرجعيةً قويّة تستند لعامل التاريخ والهوية والفكر وبدونها لا يمكن أن تقوم للمجتمع قائمة بدون هذه الأسس الفعلية".

فالجامعات في كلّ دولِ العالم -كما يضيف- كانت منطلقًا للتحسيس بالقضايا المُشتركة على غرار ما حدث في الستينات والسبعينات من القرن الماضي بخوص الحروب والحرب الباردة وقضايا السلام وكما يحدث الآن مع القضية الفلسطينية في كلّ الجامعات العالمية والجزائرية أيضاً وكما كان للطلبة الجزائريين أثناء الثورة التحريرية عبر مشاركتهم في تحرير الجزائر.

فالجامعة -حسب ذات المُتحدث- يمكن أن تتخذ من الطُرق التقليدية عبر التواصل الكلاسيكي القائم على ما تبنيه العلاقة بين الأستاذ والطالب في المدرجات والأقسام كجزء أساسي من العملية التعليمية والتكوينية وبالتالي بناء الأفكار والقيم الأساسية لأي مجتمع في العالم.

من جانب آخر -يقول المُتحدث- يمكن أن تلعب الجامعة دوراً أساسياً في بناء المجتمع والطلبة من خلق مرجعيات للوعي الجماعي والمجتمعي عن طريق وضع خزان من المعلومات والكُتب والدراسات وكلّ ما يحتاجه المجتمع من مادة علمية لها أثر في بناء الوعي.

وعلى مستوىً آخر تستطيع الجامعة -حسب قوله- أن تتخذ من التكنولوجيا الحديثة مجالاً لبناء الوعي عبر تطوير أساليبها كخلق الجامعات الافتراضية التي تسمحُ للأفراد والمجتمع من التواصل والتعلُم وكسب المعرفة.

وفي ذات السياق، أضاف قائلاً: "وأيضاً يمكن أن تقوم باستغلال مواقع التواصل الاجتماعي لتقَديم الحلول للمشكلات المَجتمعية وإعطاء تصورات ونشر القيم السليمة عبر هذه الوسائط، وبالتالي الخروج من النظرة التقليدية للمجتمع للجامعة على أنّها مكان للتخرج وأخذ شهادة وفقط، بل يمكنها أن تستغل أدوات الذكاء الاصطناعي وتوليد وصناعة الإنتاج المعَرفي والوعي بمَا يتلاءم مع القيم الحضارية للمجتمع".

وفي الأخير خَلُصَ إلى أنّ الجامعة تبقى كعنصر متحرك لابدّ أن يُواكب التحوّلات الراهنة بشكل استباقّي يكون عبر استغلال التكنولوَجيا بكلّ مكوناتها حتى تُقدم ما يمكن من حلول عملية وتُساهم في رفع درجات الوعي ووضع مضامين علمية وعملية تُمكن من الحفاظ على الأمن المجتمعي في ظَل تزايد الاِنكشافية الإعلامية.

دعوة لضبط إطاره القانوني

المقاولاتية الثقافية .. توجه جديد بأبعاد فنية واستراتيجية

ينتشر الفكر المقاولاتي الثقافي وسط طلبة جامعيين، مهتمين بإنجاز مشاريع تجمع بين الثقافة والفن و الاقتصاد، لتثمين المسار العلمي والمساهمة في النهوض الاقتصادي بتنويع مصادر الثروة، حيث يؤكد مختصون للنصر، أن الاعتماد على رأس المال الفكري الثقافي حل للنهوض الاقتصادي، مشجعين انخراط طلبة في إنجاز مشاريع في المجال، كما دعوا لضبط الإطار القانوني لنجاعة الاستثمار الثقافي.

لينة دلول

ولدعم الفكر المقاولاتي في المجال الثقافي والفني لدى الطلاب، أطلقت وزارة الفنون والثقافة الشهر الفارط مشروع حاضنة لدعم وتعزيز الصناعات الإبداعية المختلفة في الجزائر على غرار الفنون والتصميم والإعلام والترفيه والتكنولوجيا الإبداعية، حيث يتم تشجيع المشاركين الراغبين في تثمين الموروث الثقافي وتحفيز إبداعهم وتعزيز مكانتهم في السوق على تقديم ترشحهم، وهذا بالشراكة مع المنظمة العالمية للملكية الفكرية والديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة والمدرسة العليا الجزائرية للأعمال.

◆نذير رمينة فنان تشكيلي بكلية الفنون والثقافة

المقاولاتية الثقافية مشروع مجتمعي قبل أن يكون استثماريا

يرى الفنان التشكيلي والمصمم بكلية الفنون والثقافة بجامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر الأستاذ نذير رميتة، بأن المقاولاتية الثقافية، منظومة متكاملة ومتشعبة وجد معقدة تتداخل فيها الثقافة والتسيير إلى جانب الفن والمال مرورا بالاقتصاد والتجارة والسياسة وصولا إلى الاستراتيجيات الثقافية الأمنية والدبلوماسية الثقافية، فهي مشروع استراتيجي لمجتمع قبل أن تكون مجرد استثمار.

وأضاف المتحدث، أن المقاولاتية الثقافية والفنية التي يعنى بها الطلاب لها طابع خاص لأنها مرتبطة بمنظومة العلم والمعرفة، ولهذا فكل المشاريع التي يقوم بها الطلاب تكون مهيكلة ومبنية حول العلم والمعرفة، وفق استراتيجيات هادفة انطلاقا من التكوين الأكاديمي والتأطير الذي استفاد منه في الجامعة في مجالات لها علاقة بالمشاريع المسطرة، ناهيك عن مساهمات المؤسسات الثقافية والفنية سواء الرسمية أو الخاصة في تقديم النصح والخبرة والتوجيه.

وأكد المتحدث، أن الفكر المقاولاتي الثقافي انتشر وسط الطلاب وتجلى في عدة مشاريع، فالطالب اليوم يملك ثقافة المؤسسة ويؤمن يقينا أن تحقيق أهدافه وطموحه وأحلامه مرتبط بمبادراته الشخصية، فهو يحتاج فقط إلى التوجيه الاحترافي من طرف الخبراء والمختصين في مجال الفنون والثقافة.

وأشار المتحدث، إلى أن الأدوات والمهارات التي يحتاجها الطلاب لتنمية مقاولاتهم الثقافية والفنية هي التركيز على بناء مؤسسات جادة وهادفة من خلال الاستفادة من الدورات التكوينية في التسيير والمقاولاتية والتسويق وعالم المال والتجارة وكل ما له علاقة بعالم المؤسسة والمقاولاتية .

ويرى رميتة، بأنه يمكن للمدارس والجامعات دعم الطلاب في تطوير مهارات المقاولاتية الثقافية والفنية، من خلال البرامج التكوينية المتخصصة في الميدان والهيئات والمؤسسات التابعة للجامعة، والتي تسهر على السير الحسن لمختلف المشاريع الخاصة بالطلاب عن طريق النصح والإرشاد والتوجيه لبلوغ الأهداف المسطرة.

«الوسيلة الناعمة» لبناء مجتمع متماسك

وأكد الفنان، بأن الثقافة والفن هما الوسيلة الناعمة لبناء مجتمع متماسك ومتوازن وقوي بمنظومته الفكرية والمرجعية التي لا يمكن زعزعتها، مشيرا إلى أن هناك عدة مشاريع ناجحة ومتميزة أنجزها الطلبة في مجال التصميم والديكور مؤكدا بالقول، بأنها بداية المرجعية الحقيقية في مجال المقاولاتية الثقافية والفنية كونها تشمل الشقين الأكاديمي والفني الإبداعي.

يمكن للمقاولاتية الثقافية والفنية أن تساهم في تعزيز التنمية الشخصية والمهنية للطلاب بحسب المتحدث، من خلال تحقيق الاستقلالية المالية، أما على المستوى الشخصي فالمقاولة تتيح للطالب نوع من الراحة النفسية من خلال تثمين مساره العلمي بمشروع وبالتالي يفتح له أبواب تطويره نحو الأحسن والأفضل.

◆المخرج المسرحي الأستاذ حمودي لعور

الاعتماد على رأس المال الفكري حل للنهوض الاقتصادي

وقال الكاتب والمخرج المسرحي، الأستاذ الجامعي حمودي لعور، أن الصناعات الإبداعية أي المقاولاتية الثقافية والفنية، تُعد محركًا للنمو الاقتصادي، ووسيلة لتوفير فرص العمل، وبحسب منظمة اليونسكو، فقد وفّرت مختلف أنشطة الصناعات الإبداعية عوائد بنحو 2.250 تريليون دولار في عام 2018، أي ما يعادل 3 بالمئة من الناتج الإجمالي العالمي، كما خلقت فرصًا وظيفية في العام نفسه بنحو 29.5 مليون وظيفة،

موضحا بأن المقاولاتية الثقافية والفنية مصطلح مركب من متغيرين أساسيين مختلفين، حيث يقصد بالمقاولاتية الجانب الاقتصادي، أما الثقافة والفن فتعني مجال الإبداع والابتكار، وهو مجال اعتبرته اليونيسكو الركيزة الأساسية للاقتصاد المحلي.

وأضاف المتحدث، أن المقاولاتية الثقافية والفنية، هي تلك التي تعنى بالفنون الجميلة من مسرح، موسيقى، سينما وأوبرا، رسم، تراث ثقافي، وكذا كل من اتصال، نشر، تسجيل، مرتبط بالشأن الثقافي، متابعا بالقول بأن هذا المصطلح الذي أضحى يأخذ مساحة من مساحات المقاولاتية بمختلف تخصصاتها يندرج ضمن مفاهيم أوسع وأشمل تحاول ضبط العلاقة بين الاقتصاد والثقافة مثل «الصناعة الثقافية، الصناعة الإبداعية، الاقتصاد الإبداعي، الاقتصاد البرتقالي، الاقتصاد الناعم» كل هذه المفاهيم نسلت مما اصطلح عليه في أواخر القرن العشرين باقتصاد المعرفة، في ظل انتشار الصناعات المتقدمة، ومع التطور السريع الذي يشهده العالم على جميع الأصعدة وخاصة الاقتصادي منها.وقد أصبحت المعرفة تشكل، حسب الأستاذ حمودي ركيزة أساسية في تغيير أنماط النمو الاقتصادي للدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وهناك من يُعرّف اقتصاد المعرفة على أنه أحد أنواع الاقتصاد الذي يرتكز بشكل أساسي على كمّ المعرفة والمعلومات المتاحة، وعن كيفية الوصول إلى هذه المعلومات والقدرة على ذلك من عدمه، بمعنى أنه يعتمد على رأس المال الفكري أو المعرفة والابتكار. وعليه يعتبر العنصر البشري وتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من الأصول الأساسية لاقتصاد المعرفة.

ويرى بأن الجزائر تمتلك مواهب في مجال الصناعات الثقافية والإبداعية وإمكانات كبيرة في مختلف القطاعات المرتبطة بهذه الصناعة «السينما والسمعي البصري، صناعة الأسطوانات، قطاع النشر والكتاب، التلفزيون ووسائل البث...الخ.»، إلا أنه بات من الضروري بذل المزيد من الجهود لتنمية هذه المواهب والإمكانات، لإحياء هذا القطاع عن طريق إيجاد طيف واسع من المنتجات والخدمات الإبداعية والثقافية، وخلق مناصب شغل تكون جالبة للمداخيل، وتشجيع إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

وأكد الأستاذ، بأن السياسة الثقافية في الجزائر تهدف إلى خلق وتدعيم إمكانيات صناعة المنتجات الثقافية، ورد الاعتبار للمؤسسات الثقافية مثل المكتبات والمسارح ودور السينما والبنى التحتية والمنشآت العامة المخصصة للإعلام وتنمية المؤهلات الطبيعية، وكذا تطوير الشبكات الوطنية لنشر وتوزيع المنتجات الثقافية الجهوية،و تسهيل وصول النشاطات والسلع والخدمات الثقافية بشكل أكبر إلى السوق العالمية وإلى شبكات التوزيع الدولية،

وعليه يجب، حسب الأستاذ حمودي، اتخاذ الإجراءات التي من شأنها تسهيل الوصول إلى النشاطات والسلع والخدمات الثقافية في الوطن، ودعم العمل الإبداعي وتسهيل المبادرات الرامية إلى إنشاء تعاونيات محلية ودولية في مجال صناعة الثقافة، ناهيك عن تنمية كفاءات القطاعين العام والخاص في هذا المجال، عن طريق تزويدهما بالمعلومات والتجارب والخبرات وتدريب الموارد البشرية على استراتيجيات المشاريع وإدارتها وتنفيذها، وعلى تطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمصغرة باستخدام التقنيات الحديثة، والتحكم في مهارات الإنتاج الإداري والتقني، باعتماد معايير دولية فضلا عن إنشاء آليات جديدة ومناخ ملائم لتنمية الاستثمار في مجال الصناعات الإبداعية في الجزائر، و تشجيع العلاقات بين المؤسسات العامة والخاصة من أجل خلق وظائف وإنتاج سلع وخدمات في مجال الصناعات الثقافية والإبداعية،

ضبط الإطار القانوني ضرورة لنجاعة الاستثمار الثقافي

كما حث الأستاذ، على تهيئة الإطار القانوني، لتوفير مناخ يشجع على الاستثمار في قطاع الثقافة والإبداع، ويضمن حماية حقوق المؤلفين والتراث الوطني، وكذا وضع نظام تجاري عادل يشجع ويدعم الصناعات الثقافية والإبداعية والمبدعين والمنتجين والموزعين. وذكر أن أكبر التحديات التي تواجه سياسة دعم الصناعات الثقافية والإبداعية هو خلق وتنمية القدرات المهنية المؤهلة للاستجابة لمتطلبات هذا القطاع ورهاناته، ويجب أن يكون بحسبه تطوير وتنفيذ برامج التربية والتكوين في صميم كل سياسة تسعى لدعم الصناعات الثقافية والإبداعية، وذلك بإنشاء بنى تحتية للتكوين من أجل تشجيع المهنية في كل النشاطات الثقافية المرتبطة بالإنتاج والإبداع ورفع مستوى، وتكوين المبدعين وفناني الخشبة والتقنيين و المسؤولين عن تصوير المشاريع الثقافية وتنفيذها وتسييرها، بما في ذلك المؤسسات المشاركة في إنتاج وتسويق السلع والخدمات الثقافية وتلك المكلّفة بصيانة المعدات،

ودعا المتحدث لإتّباع استراتيجيات متنوعة تضع في حسبانها تطلّعات المحترفين وكذا التنمية الضرورية للتعليم والتكوين الموجهين لعامة الناس عن طريق تربية الجمهور وعقد الورشات والتكوين واللقاءات العامة والمنشورات ووسائل الإعلام، وتشجيع وتطوير النشاطات للتعريف بالصناعة الثقافية والإبداعية في المدارس الرسمية بشكل يحسس المواطنين بأهمية الإبداع الفني، مع إنشاء فروع للتكوين على مستوى عال تابع للمدارس العليا والجامعات والمعاهد الموجودة، مع التركيز على جانب الأعمال والتجارة في الصناعات الثقافية والإبداعية من أجل ضمان مساهمتها في بلوغ أهداف التنمية وخلق الثروة في الوطن،

إضافة إلى إنشاء مدارس جهوية تتخصص كل واحدة منها في فرع معين ومدارس للتكوين في مجال الصناعة الثقافية والإبداعية للمحترفين من أجل تقديم تكوين متخصص لأصحاب المؤسسات والمسيرين والعاملين في مجال الإبداع، إنشاء وتسيير مؤسسات إبداعية وثقافية وتعزيز قدرتها على تحسين إنتاجية السلع والخدمات الإبداعية والثقافية وتحسين جودتها،

ناهيك، يضيف المخرج المسرحي حمودي، عن انتداب المحترفين في الصناعات الإبداعية في البرامج المدرسية والجامعية، من أجل إقامة فعاليات دورية حول نشاطات هذه الصناعات، وإنشاء وتطوير مراكز للبحث وفضاءات للتبادل والتنمية والتجديد بشكل يسمح بتتبع تطور قطاع التكوين في الصناعة الثقافية، وكذا نقل المعارف في مجال تسيير المشاريع وسير الصفقات والأسواق وقانون الملكية الفكرية وذلك عن طريق وضع برامج للتكوين تتوجه للمحترفين في مختلف أوجه الصناعات الثقافية والإبداعية بما في ذلك الإبداع والإنتاج والتوزيع والتقديم والتسويق والرأي العام، وهو ما يعد جوهريا لضمان صناعة منتجات ثقافية ذات جودة، إيجاد تعاون وتنسيق بين قطاعات الصناعات الثقافية والإبداعية وبين المصالح الحكومية الأخرى مثل مصالح وزارة الثقافة ووزارة التربية الوطنية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومراكز التكوين والجامعات والمدارس المهنية ومدارس الفن العليا والهيئات المنظمة للمؤتمرات وكذا الجمعيات والنقابات المهنية وضمان أن تحصل على مداخيل محترمة لقاء جهودها المثمرة

وتابع المخرج بالقول، بأنه لمواكبة الاقتصاد الإبداعي العالمي وجعله رافدا قويا من محركات الاقتصاد الوطني في الجزائر، فان المسألة لا تتعلق بالقوانين وكذا الاستراتيجيات والسياسات العامة والخاصة للقطاع، بقدر ما تتعلق بخلق ذهنية وعقلية تواكب المتغيرات الفكرية والاقتصادية العالمية، بصناعة عقلية مبدعة ومبتكرة ضمن الثقافة المحلية للوطن بكل فواعلها ومقوماتها، مما يعزز الانطلاق إبداعا وبحثا من خلالها، لتنتج صناعات إبداعية تنتمي للخصوصية الثقافية المحلية ، دون أن تنغلق وتنعزل بل تسعى إلى عالميتها وتطورها وتنشرها بقوة الصناعة الإبداعية.

ل.د

الناقد والأكاديمي الدكتور محمّد الأمين بحري للنصر

بعض الكُتّاب يعتقدون أنّ نقد أعمالهم خط أحمر

●النقد فعل حماية وصيانة للأدب من التشويه والتردي

يؤكد الناقد والأكاديمي الدكتور محمّد الأمين بحري، ان ما يثار حول الصراع بين الناقد والكاتب، فكرة تقوم على مشكلة وهمية رَوَّجَ لها بعض الكُتّاب الذين ظنوا بأنّ نقد أعمالهم هو إساءة لشخوصهم، فشنوا هجوماً على كلّ من انتقد أعمالهم، أو أشار إلى مُغالطات وسقطات في متونها، مروّجين للرأي العام بأنّ نقد أعمالهم خط أحمر، أو هي من قبيل المُقدسات التي يحرم نقدها. ومن سياق هذا الوهم النرجسي حوّلوا مسار النقد من النصي إلى الشخصي.

حوار: نوّارة لحرش

من المُغالطات المُضلّلة عدم التمييز بين الدراسة النقدية وبين الرأي الانطباعي

○يبدو أنّ قيّم ومُعطيات ومرجعيات النقد الأدبي قد تغيّرت، إذ أصبحَ الكثير من هذا النقد يتناول شخص الكاتب بعيداً عن النص كمتن إبداعي قابل للنقد البنّاء والموضوعي. لماذا برأيك وصل حال النقد إلى هذا المستوى؟

- **محمد الأمين بحري:** في اعتقادي السبب الجوهري لهذه المُغالطات حول مُهمةَ الناقد هو غياب الوعي بالنقد في الساحة الثّقافيّة. وهذا الغياب ناتج عن ضُعف شامل يبدأ من النص لينتقل إلى بقية المُمارسات اللاحقة له ومن بينها النقد، ممّا نتجت عنه مُغالطات عدة زجت بممارسات مختلفة في خانة النقد وهو بريء مَنها، أبرزها: شيوع الظن بأنّ النقد هو إظهار عيوب للنصوص والحط من قيمة أصحابها، ممّا يُوهم النّاس بأنّ هذه المُمارسة تشتغل فقط بالمساوئ والسقطات، وهُنا يبرز الوهم في عدم التفريق بين النقد والانتقاد. حتّى أضحت هذه الكلمة مشبوهة كسلاح مُوجهَ ضدّ المُبدعين للنيل منهم. وهو اعتقادٌ مُضلل وبعيد عن واقع النقد مفهوماً ووظيفة.

ومن المُغالطات المُضللة عدم التمييز بين الدراسة النقدية وبين الرأي الانطباعي حول عمل ما (سواء بالإعجاب أو عدمه) الّذي يمكن أن يصدر عن أي قارئ عادي وليس عن الناقد فقط. بينما يتحدّد النقد في أبسط تعاريفه بأنه «معرفة النص»، والمعرفة تعني تحليل مواد المنجم النصي، وبحث مستوياته الفكريّة وأبعاده المعرفيّة، ومحمولاته الشكلية والضمنية، فضلاً عن الجانب التقييمي الّذي يُبرز ما يُقدمه النص لجنسه من ثروات تبنيه، أو ما يشوبه من سقطات تشوه جنسه وتهدمه. وفي كلا الحالين، يبرز النقد كفعل حماية وصيانة للأدب من التشويه والتردي، وهو في النهاية تغذية راجعة للنص ولم يحدث يوماً أن كان في غير مصلحته. فالمشكلة لم تكن يوماً في النقد بل في فهمنا وممارستنا له. وحين يغيب هذا الفهم والوعي. علينا توقع انحراف مساره من محاورة النصوص إلى مهاترة بين الشخوص.

○كيف تُفسر ما يحدث؟ يعني: النقد الّذي يتناول بعض الأعمال الأدبيّة لبعض الكُتّاب والكاتبات. هل يعقل أن يترك الناقد النص جانبًا ليتفرغ لشخص الكاتب؟

- يحتمل هذا الطرح تهمة باطلة، تفترض بأنّ الناقد حامل لسيف التجريح والتنكيل بالكُتّاب، دون وازع أو رادع. وهي صورة مشوهة تتنافى وأخلاقيات المثقف، بل وتاريخه، فالنقد بنى عبر تاريخه حضارات وصحح في الثقافة مسارات، ولم يحدثنا التاريخ بأنّه خرب بنياناً، أو حط من قيمة فلان. فما بالنا نريد أن ننحرف جانباً عن مسار النقد ومُنجزاته في العالم، نحن لسنا في جزيرة معزولة، بل إنّ النقد في الجزائر جزء لا يتجزأ من الحراك الثقافي العربي والعالمي بمنجزاته ومساهماته في مختلف التظاهرات الثقافيّة المحلية والدولية.

أمّا محاولات تشويهه بالزج به في الصراعات الشخصية البينية، فأعتقد بأنّ هذا مُؤشر على انحطاط عام في مستوى الخطاب الثقافي لمن يُروج أو يعتَقد بهذا الطرح الّذي يمكن لأي شخص أن يلَمس بطلانه إن هو أجاب عن السؤال التالي: ماذا سيستفيد الناقد من الطعن في شخص ما؟! يبدو الأمر في غاية السخافة والابتذال حينما نربط مُمارسة نقدية لعمل أدبي ما، بالتهَجم على صاحب العمل، كأنّ الكاتب قد ارتكب جريمة حين رفع القلم وأبدع نصاً، وهذه فكرَة غير منطقية أستغرب من يضعها في ذهنه ويتبناها. لكن إن ظن شخصٌ ما أو ادعى بأنّ النقد يحتوى على شيء من التهجم فما عليه إلاّ أن يُتابع المسألة، وصدقيني أنّه حين يستمع عن قرب للطرفين، أو يُطالع النص النقدي سيصل إلى نفي فرضية التهجم الشخصي التي انطلق منها، وسيصل في النهاية إلى حقيقتين لا ثالثةَ لهما: الأولى أن يكون أحد الطرفين (الناقد والمنقود) شخصية ثقافية مُزيفة لا تنتمي لهذا الحقل، ومن هنا ستخرج المسألة تلقائياً من حقل النقاش الثقافي ويتم تجاوزها لعدم التأسيس. والحقيقة الثانيّة أنّ كلا الطرفين (ناقد ومنقود) من أهل المشهد الثقافي وفاعَليه، وهنا سيقود الاطلاع على موضوع السجال إلى بطلان هذه التهمة عنَهما.

وعلى جميع شركاء المشهد الثقافي أن يتأكدوا بأنّ حدوث مثل هذا الانحراف ناتج بالأساس عن غياب النقد الموضوعي الأصيل، ممّا فتح الباب للإساءات والملاسنات الغوغائية. ولو نَهض نقادنا من سباتهم ووقفوا بشيء من الشجاعة في وجه هذه المُمارسات بالدراسات الأصيلة والموضوعية للمتون، مُميزين فيها بين الغث والسمين، لظهر في الأدب كما في النقد العمل الحقيقي وافتضح زور الزائف المدعي. ولما كان لهذه الفئة الطفيلية المُزيفة من مجال لانتهاك أخلاقيات العمل الثقافي على الإطلاق.

○لكن الظاهرة استفحلت أكثر وبشكل يدعو -ربّما- للقلق في الوسط الأدبي الجزائري، أنت من موقعك كناقد ما الّذي يمكن أن تقوله في هذا الموضوع؟

- صحيح، لقد شهدت السنوات الفارطة، سجالات من هذا القبيل نزلت إلى أحط المستويات ابتذالاً، على صفحات الجرائد لكن الجميع يذكر (مع حفظ الأسماء) أنّها كانت بين مبدعين وليست بين كُتّاب ونُقاد.

أمّا عن سؤالك المُتعلق بالضجة الحاصلة اليوم بين الناقد والكاتب، وتجربتي الشخصية في ذلك، فأعتقد بأنّ هذه الفكرة في حد ذاتها تقوم على مشكلة وهمية رَوَّجَ لها بعض الكُتّاب الذين ظنوا بأنّ نقد أعمالهم هو إساءة لشخوصهم، فشنوا هجوماً على كلّ من انتقد أعمالهم، أو أشار إلى مغالطات وسقطات في متونها، مروجين للرأي العام بأنّ نقد أعمالهم خط أحمر، أو هي من قبيل المقدسات التي يحرم نقدها. وواضح من سياق هذا الوهم النرجسي إرادة تحويل مسار النقد من النصي إلى الشخصي.

كمثال على ذلك عشتُ في وقت سابق حالة غريبة أكدت لي هذا الانهيار المهول على مستوى الوعي بالسجال النقدي في الجزائر. وأعتقد بأنّ لهذه المشكلة المصطنعة سبب متعلق بالطرف المنقود، والعلة في رأيي تكمن في التدخل الشخصي للكاتب للرد عن نُقاد نصه (وهو خطأ جسيم من شأنه تحويل السجال من موضوع بين النُقاد إلى صراع بين كاتب وناقد.. فتتشوه الصورة وينحط المستوى)، وذلك حينما ينتفض الكاتب واهماً بأنّ الانتقاد يتقصد شخصه وينال من قيمته كأديب، وينبريَ للرد بكلّ الوسائل على قراءة نقدية (للنص) لا تعبر في النهاية سوى عن منظور صاحبها. وهذا أكبر خطأ يمكن أن يقوم به الكاتب حينما يتحوّل إلى قارئ مُناصر ومُنافح عن نصه، وهو ما يخرجنا من القراءة النّصيّة إلى الصراعات الشخصية المبتذلة، أي من أدبيات الثقافة إلى الغوغائية والسخافة. ولم يكن هذا ليحدث لو ترك الكاتب جمهور القُرّاء والنُقاد يختلفون حول أطروحاته ونصوصه التي تكتسي أهمية بمَا تُثيره في الساحة من سجال واختلاف، فتظهر قيمةَ النص ويشد إليها فضول القُرّاء مُتسائلين عن سر هذا العمل الّذي جَلَبَ إليه كلّ هذا النقاش النقدي الواسع. لكن بمجرّد التدخل الشخصي للكاتب في ثوب مُناصر لنصه، ويعمد إلى الرد على كلّ مُنتقديه، فسيخرب السجال الثقافي بأسره وينحرف النقاش المُفترض بين النُقاد، إلى ملاسنة مُبتذلة بينه وبين من انتقد نصه. وقد حدث هذا الأمر بكلّ أسف بيني وبين أحد الكُتّاب الذين حرموا نصوصهم من سجالات فكرية ونقدية راقية، بتدخله المُباشر والمُفاجئ على منابر الإعلام، حين قام هذا الأخير بوصف مناقشتي الناقدة لبعض نصوصه، بالحقد والمؤامرة التي تستهدف النيل من شخصه...الخ. وبالوصول إلى هذا المستوى تراجع العديد من النُقاد الذين كانوا متحمسين للرد على قراءتي النقدية لنصوصه، وهذا ما أخبروني به بكل أسف، جراء التدخل المُفاجئ للكاتب الّذي حوّل المسألة إلى صراع شخصي مُعتمداً على تعاليق جرائد وبعيد كل البُعد عن جوهر الموضوع المدروس. لذلك أعتقد بأنّ أي تدخل دفاعي من الكاتب بعد نشر نصه بين القُرّاء، سيشوّه قيمته وقيمة النقاش الدائر حوله. وما أجمل أن ينسحب الكاتب من معارك الاختلاف النقدي حول نصوصه. ليترك النُقاد يختلفون والآراء تتضارب حولها، ممّا يرفع نسبة مقروئيتها والاهتمام بها في الأوساط الثقافية.

وشخصياً أحترم كلّ الأدباء الذين تناولتُ أعمالهم في دراساتي النقدية، لأنّ تلك الأعمال المهمة استفزت قلمي وصنعت قريحتي، ووجهت منظوري، وقام عليها تصوري للمشهد الأدبي في الجزائر.

أستغرب الهدف من الإساءة للأشخاص باسم النقد

○هل من الأخلاق أن يتحوّل بعض النقد إلى إساءات وتصفية حسابات؟

- في الحقيقة أستغرب الهدف من الإساءة للأشخاص باسم النقد، ولا أعرف لحد الآن الإجابة عن أسئلة مَحيرة: -ما الّذي ستجنيه كمثقف من وراء تشويهك أو إساءتك لمثقف آخر باسم النقد؟ ولماذا نكرس جهودنا وأقلامنا لأذية بعضنَا، وأين الأدب في الخروج عن النص واستهداف الشخص؟ بل لماذا يعتقد الأديب بأنّ نقد نصه هو تشويه لشخصه؟ هل هناك نصوص فوق النقد؟.

فمن أراد ألا يُنقَد فعليه ببساطة ألا يكتب وينشر عمله للقُرّاء، وأعتقد بأنّ أي نقاش حول نص ما هو في مصلحة النص ودافعٌ فكري لثقافة الاختلاف التي تسمو بها ثقافات الأمم.

الانحراف عن سكة النقد آتٍ من الفراغ الّذي تركه انسحاب أهله

○هل يمكن القول إنّ النقد انحرف عن مهمته ورسالته وسكته؟ أم أنّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرّد عينات قليلة لا يمكنها أن تشوّش على واقع ومشهد النقد في الجزائر؟

- أعتقد بأنّ الانحراف عن سكة النقد آت من الفراغ الّذي تركه انسحَاب أهله، وهذا الانسحاب فسح المجال ليركبه من ليس له بأهل. وطبيعَي أن ترى الأدعياء يصولون ويجولون باسم المثقفين ولا نعدم وجودهم في ساحة النقد. وفي الجزائر، وهنا لا أقول بأنّ الناقد غائب كما يظن البعض بل أقول بأنّه متقاعس ومُتنازل عن مهمته نظراً لإحباط أو يأس من محيطه الثقافي المُتهالك. وشخصياً أعارض هذا الفكر، فيجب في حالات الانهيار والانحطاط أن تظهر مقاومة للرداءة ولو بصوَرة فردية سَيتم الاعتداء عليها باسم الشذوذ والجنون والسباحة ضدّ التيار...الخ. لكن أقول للناقد الحصيف لا تتخلَ عمّا يستفز قريحتك من نصوص، فالقُرّاء والكُتّاب والثقافة بحاجتك. فحينما تجد بأنّ ما يُقارب 80 %، من النصوص الإبداعية لا تتعرض لأي نوع من النقد أو حتّى القراءة التقديمية الدعائية في وسائل الإعلام، فيجب أن نفهم بأنّ النقد في حد ذاته صار ظاهرة شاذة ونادرة في أدبنا، إلى درجة أضحى النقد الجاد أمراً صاعقاً للرأي العام، ويتم استقباله باستغراب وصدمة، لذلك يتم تأويله عادةً بطرَق تخرج عَن طبيعة الأدب، وتنحصر في زاوية التشخيص المقيتة، وهو وضع ينم عن الاغتراب الّذي صار يحياه النقد والناقد عندنا.

○في الأخير: كيف تتصوّر مستوى ومستقبل النقد، وهل يمكن أن يعود إلى سكته كي يُواصل مسيرته ودوره في مواكبة الأدب؟

- في النهاية النقد أكثر من كونه أخلاقيات ومبادئ، هو تقاليد عريقة، ومعرفة علمية وفنية عميقة تتأسس على النصوص والمُدونات الأصيلة، وبعيداً عن الأوهام والمغالطات هو صنو الأدب، إبداعاً وموهبة، يحمل رؤية ومنظوراً واستراتيجية، باعتباره تغذية راجعة للأدب، ولدينا في الجزائر جيل شَاب، ينهل من آخر تحديثات الفكر والفلسفة والنقد في العالم، جيلٌ صاعد يسير بلا آلهة أو أسماء كبيرة تحجب عنه ضوء الشمس، وأقولها بكلّ تفاؤل، برغم كلّ التشويهات التي تُحاول النيل من الجهود النقدية هنا وهناك، انتظروا في السنوات القليلة القادمة اعتلاء النقد الجزائري منابر الريادة عربياً وعالمياً، بناءً علىَ ما أراه من جهود وأنشطة جادة يعكف عليها حالياً جيلٌ صاعد من الأكاديميين والنُقاد والمُفكرين الشباب الذين بدأت بوادر منجزاتهم الرصينة في شق طريقها بخطى ثابتة.